Journal of the University of Babylon for Humanities مَجلّة جَامعة بَابل للعُلوم الإنسَانيّة
Vol.30/No.7/2022. المجلد30/العدد7/2022

نقد الهوية من منظور البنية الثقافية في كتب نقد الرواية العربية

نوره عباس علي فرحان بدري الحربي
كلية التربية للعلوم الانسانية/ جامعة بابل
70frhr@gmail.com narrator3a@gmail.com

تاريخ استلام البحث: ٢٧/ ٢٠٢٢/٤ **تاريخ قبول النشر:** ٢٢/٥ /٢٠٢٢ **تاريخ نشر البحث:** ٢٤/٧/ ٢٠٢٢

المستخلص:

يتوجه هذا البحث إلى نقد الكتب النقدية التي اتخذت من الهوية مسارا لقراءة النصوص الروائية من منظور البنية الثقافية وما تشتمل عليه من مكونات رئيسة في التأسيس الثقافي، تكمن محاولتنا القرائية في الكشف عن أهم تلك المكونات الثقافية التي قرأ النقاد الهوية في النصوص الروائية عبرها. فعني النقاد بفاعلية مكون ثقافي واحد أو أكثر في النصوص الروائية والوقوف عند السياق الخطابي والتفاعل معه أو الإعلان عن مضمرات المكونات الثقافية وقراءتها تبعا للاشتغال القرائي وأدوات الناقد المنهجية، مستندين في قراءتنا على استراتيجية تفكيك الخطاب النقدي.

وقد قسمنا البحث إلى ملخص ومدخل للتعريف بعلاقة الهوية بالثقافة ومدى تداخلهما، ثم الوقوف عند أهم المكونات الثقافية الواردة في السياقات النقدية لنقد الهوية في الرواية العربية ابتداء بالدين والجسد واللغة والموسيقى وبعضا من المكونات الثقافية الأخرى، وختمنا البحث بأهم النتائج والملاحظات والهوامش وثبتا بالمصادر النقدية قيد الدراسة وبعضا من المصادر في مجال الثقافة والنقد.

الكلمات الدالة: الهوية، النقد، الثقافة، الرواية

Identity Criticism from the Perspective of the Cultural Construct in Criticism Books of the Arabic Novel

Noora Abbas Ali Farhan Bedri Al-Harbi
Collage of Education for Human Sciences/ University of Babylon

Abstract

This research is directed to critique the critical books that took the identity as a path to read the narrative texts from the perspective of the cultural structure and what it includes from the main components in the cultural foundation. The critics effectively meant one or more cultural components in the novelistic texts, standing at the rhetorical context and interacting with it , or declaring the implications of the cultural components and reading them according to the reading work and the critic's methodological tools , basing our reading on the strategy of deconstructing the critical discourse.

We divided the research into a summary and an introduction to define the relationship of identity with culture and the extent of their overlap, then to stand at the most important cultural components contained in the critical contexts of identity criticism in the Arabic novel, starting with religion, body, language, music and some of the other cultural components, and we concluded the research with the most important The results, notes and margins are proven by the critical sources under study and some sources in the field of culture and criticism.

Keywords: Identity, Criticism, Culture, Novel

١ – المدخل :

قد يختلف التحديد العلمي لمفهوم الثقافة بحسب وجهات النظر في الممارسة النقدية. فبغض النظر عن كونها شاملة الوجود والاحتواء إلا أنها عصية الضبط. فالتحديد يتبع التكوين الاجتماعي ويخضع إليه وينضوي في مساره الخاضع للتغيير الدلالي تبعا للاختلاف الزمني ومعطياته. فلكل إطار مجتمعي رؤى تضبط امكانياتها ومصالحها وتراكماتها لمسلمات تعلن عن حضورها باستمرار فتكون دوالا موزعة لفئات تجمعها توافقات رئيسة فتنتمي إليها.

الثقافة تتوافق مع الهوية وكأن الوجود لا يكتمل لإحداها إلا بحضور الآخر فالهوية دالة تنطوي على جمع من المعايير لفئة مجتمعية في بؤرة مكانية معينة وهي شمولية وزئبقية فضلا عن أنهما يتوافقان في صعوبة التحديد المصطلحي إضافة إلى الاحتواء التكويني.

لم نعد الهوية ثابتة بل صارت متغيرة وخاضعة للتمايز والتبدل فبدأت تتداخل مع مسار الثقافة فتطلق كلمة الهوية ويقصد بها الثقافة ويطلق لفظ الثقافة ويقصد به الهوية ما عاد الثبات الهوياتي منسجماً مع معطيات التسارع الزمني واللحظة الفاعلة.

فلو عدنا إلى البحث التاريخي لدالة الثقافة لغويا نجدها حاضرة[١،ص٢٤–٢٥] كحضور أي مصطلح لغوي، ولكن بوصف الثقافة وهي فاعلية فكرية كما في تداولها الآني وإحالتها المعرفية لم يوجد إلا في القرون الأخيرة المعدودة. ((فمفهوم (الثقافة) ثمرة من ثمار عصر النهضة عندما شهدت أوروبا في القرن السادس عشر انبثاق مجموعة من الأعمال الأدبية في الفن وفي الأدب وفي الفكر)).[٢،ص٢٥]

وهذا لا يعني أنها لم تكن في طور الممارسة الفعلية فالانتساب المصطلحي لم يرتبط بالجانب الفعلي فهناك افتراق بين الثقافة كفكرة تضم مجموعة من القيم والنشاطات ومشتركات شخصية ومجتمعية في إطار مكاني وزمني معين وبين الوعي بتعريف أو ترجمة الممارسات واختزالها في دال معرفي موسوم بلفظة الثقافة.

فالمسافة الزمنية شاسعة بين الثقافة بوصفها فكرة وبصفتها تداولا. إذ نجد الثاني أسبق من الأول وهو ممارسة وخاصية فردية ومجتمعية فاعلة منذ تبلور الوعي الإنساني، والمتمثلة في جمع من التوافقات والشروط والممارسات تخضع لها الذات أو الجماعة في بؤرة زمكانية معينة.

فالثقافة كما يعرفها (ادوارد تايلور): ((الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق والقانون والعرف، وغير ذلك من العادات التي يكتسبها الفرد باعتباره عضوا في مجتمع معين، أو منتميا إلى جماعة معينة)).[٣،ص٤١]

وقد ارتبطت الثقافة بالبعد الفكري الذي تتبناه المجاميع وقد أصيب مفهومها بالترهل بسبب عدم الوضوح نتيجة للتداخل الكوني والعولمة التي فُتّتْ أجزاؤها وشُتِّتَ تراصفها الجمعي.[٣،ص٤٦]

إن عملية التدليل على دوال الثقافة قد تكون قديمة كأن نقول عن ثقافة ما قبل الإسلام بالثقافة الإسلامية..الخ، وهذا وارد في تسميات كثيرة وليدة اللحظات الآنية فاللغة حية وخاضعة للتطور وقابلة للتزايد والتوسع. وكذا بالنسبة للهوية على الرغم من قدم وجودها مصطلحا إلا أنها ارتبطت بالعرض الفلسفي، بالأنا التي

لطالما شغلت الوجود في معرفتها ولكنها خضعت للتطور الدلالي والتداولي. فشموليتها تكمن في حضورها في كل القضايا والمعارف إذ لكل شيء هوية، فالهوية مركز قابل لتقويض تعددية مكوناته فتكون بالتالي مركزيات.

٢-نقد الهوية ومكونات البنية الثقافية

٢-١ الدين

يعد الدين من مكونات أغلب المجتمعات البشرية؛ الدين عندها ثابتٌ في الوجود ومتغيرٌ في التقبل والفهم والتأويل ومهما حاولت السياسات التخلي عنه وفصله يزداد حضورا بغض النظر عن صورة الحضور الايجابية أو السلبية. فصيحات العولمة في بناء إطارها الواحدي بكل مكوناته من جانب وممارساتها التعددية من جانب آخر ولّدت ضربا من التناقضات وزخما من الصراعات وهذا ما لا يمكن تخطيه في الواقع أو التخلي عن طرحه واستعراضه في العالم التخييلي الإبداعي. فمنحت الساحة الإبداعية مجالا لهذه البنية الثقافية حتى لا يكاد يخلو نتاج روائي منها-لا سيما في العقدين الأخيريين-. وبسبب خضوع أغلب القراءات النقدية للعرض الروائي فقد وجدناها تعيد سردنة الركائز(أو المحاور) في إطار نقدي لا يبتعد عن المتن الإبداعي الذي عملت على قراءته.

ومن تلك النماذج ما جاء في كتاب (الهوية المسيحية في الرواية العراقية دراسة تحليلية لروايات ما بعد2003 للمؤلف (عماد جاسم)[٤] فقد استند في بحثه إلى رؤية المنتج الروائي الذي يدرسه أو ينقده في التعامل مع الهوية المسيحية ومدى قدرة الذات الشخصية في تأسيس الخطاب الروائي. ووقف الناقد الأدبي عند منظورين رئيسين في تدليلهما على الهوية المسيحية:

- الأول: منظور الذات للشخصية المسيحية
- الثاني : منظور الذات للشخصية المسلمة

وإن الذات التي وقف عندها الناقد واستعرض الخطاب الديني عبرها هي ذات الشخصية الروائية المتخيلة المعلنة عن حضورها مباشرة في راوٍ لا سيما الراوي العليم بكل شيء، أو العليم والمشارك في آن واحد، أي في لحظاتِ تماهي كتّاب الرواية مع شخصية أو شخصيات من خلقهم.

ولكن الاخفاق النقدي يكمن في منهجية القراءة، عبر تقسيم الكتاب إلى ثلاثة فصول انطوت على التكرار والاستطراد لاسيما في الفصل الأخير؛ إذ لم يقدم فيه الناقد إضافة نقدية معرفية سوى تفريق خطاب الذات في زمن ما قبل الاحتلال وما بعده. فلو وزعت قراءته على الفصلين الأول والثاني لتجنب التكرار ولوظف النصوص الروائية أو المشاهد السردية ولأحاط بشمولية مع بيان المفارقة الزمنية لحدث الاحتلال.

وقد كشف (د.عبد الله إبراهيم) في كتابه (السرد، والاعتراف، والهوية) الهوية الدينية للشخصيات بخطاب ذات الهوية المنتجة للروائي (رؤوف مسعد) في روايته (مزاج التماسيح) إذ يقول: ((طرحت رواية مزاج التماسيح[...] ما ستفضي إليه التنازعات الدينية المنفلتة في مصر التي تؤججها جماعات مفتعلة))[٥،ص٩٠] فيجد في المتن الروائي ((هوية المؤلف سياسيا وثقافيا ودينيا، وهوية الأقباط، وهوية المسلمين..)).[٥،ص٩٣]
واتخذ (د.عبد الله إبراهيم) من الدوال الدلالية في النصوص الروائية مفتاحا لتأويل الهوية الدينية لشخوص الروايات كـــ (الختان) الذي يعد دال ديني في الثقافتين اليهودية والاسلامية.[٥،ص٨٣و٨٥و١٣١]

ووقف المؤلف (صالح زامل) في كتابه (الشغف بالهوية دراسات ومقالات في السرد)المتضمن لبحث (الهويات المتصالحة في رواية (الحفيدة الأمريكية) (لإنعام كجه جي) عند جانب غير متكامل من القراءة حول الهويات الدينية المسيحية والمسلمة إلا في إشارات سريعة؛ فالعنوان يشير إلى الهويات المتصالحة ولم تكن الهويات في الرواية باستثناء الهويات الدينية متصالحة ومنسجمة في سياق لا يخلو من المركزية والتهميش في خطاب الذات الروائية، أما الأجيال الثلاثة التي وقف عندها المؤلف فلم تكن متصالحة بقدر ما كانت متنافرة ولا يمكن جمع شخوصها المنتمين إليها إلا عبر محطة الذاكرة والانتماء الأصيل.[٦،ص١٠٧-١٢٣]

وجمع المؤلف (إحسان جابر شبيب البخاتي) بين الهوية الدينية المذكورة في الخطاب الروائي وهوية المنتج الإبداعية. ففي كتابه (الهوية في سرديات جمعة اللامي دراسة في ضوء التحليل الثقافي) يربط الهوية المذهبية لمؤلف السرديات بأيديولوجيته الفكرية وبانتمائه اليساري محاولا الربط بين الجانبين الديني والفكري [٧، ص٣٣ و٣٨و١٦٧] ((من هذه الرؤيا تشكلت الهوية الثقافية وتنوعت في سرديات جمعة اللامي، إذ يتداخل الوعي التاريخي مع التجربة الذاتية، التي شهدت انتماءات فكرية، وسياسية، وثقافية، فضلا عن واقع مجتمعه وتحولاته الثقافية والسياسية والاقتصادية والدينية)).[٧،ص٣٢]

ربط (إحسان جابر شبيب) بين عنوانات المتون السردية والهوية الدينية ((لذلك ننظر إلى عنوانات نصوص اللامي بوصفها تنتمي إلى ثقافة المجتمع فهي تحمل الصفة الدينية)).[٧،ص٣٣]

وما يعنينا من أعمال جمعة اللامي السردية التي درسها(إحسان البخاتي) هي- (الثلاثية الأولى، المقامة اللامية، مجنون زينب) فالأعمال الروائية التي درسها لا تحمل طابعا دينيا على الاطلاق، فلو كان العنوان (مجنون زينب) ما يقصد به عنوان ذو طابع ديني، فهو أقرب إلى الرومانسية منه إلى الدينية. فلفظة زينب كغيرها من أسماء الإناث تتصدر عنوانات الروايات كـــ (زينب) لمحمد حسين هيكل.. إضافة إلى ذلك فإن غلاف عنوان رواية مجنون زينب لا يحيل على طابع ديني.

وتجد المؤلفة (سعيدة بن بوزة) في كتابها (الهوية والاختلاف في الرواية النسوية في المغرب العربي) أن الدين تحول إلى أيديولوجيا في مرحلة ما بعد الاستقلال في المغرب[٨،ص١٣٦]؛ فارتباط السياسة بالدين يؤدلج الأخير وغالبا ما يكون لصالح السياسة. وهذا ما يجده أيضا المؤلف (إحسان البخاتي) في قراءته للنصوص السردية للكاتب جمعة اللامي.[٧،ص٣٢]

وكذلك عدَّ (د.محمد جري النداوي) الدين بوصفه بعداً من أبعاد الايديولوجيا في الفصل الثالث والمعنون ب- (الايديولوجيا)، إضافة إلى بيان مقدرة الدين على تأسيس ايديولوجيا ((تضمن لها حق البقاء والصمود أمام الغزو الثقافي)).[٩،ص١٧٨]

٢-٢ الجسد

الجسد هو دالة حضور الانسان المادية الظاهرة والفكرية الحاملة للهوية الباطنة[١٠،ص١٣٠]. وقد مر الجسد في السياق المجتمعي والثقافي عبر التاريخ من محطة إلى أخرى من نمط الذوبان في القطيع إلى التقوقع حول الفردانية والتذويت بتأثير العامل السياسي في أولى الأسباب المهيمنة على معطيات تشكيل الذات ماديا وفكريا.

لقد عنيت الدراسات النقدية في السنوات الأخيرة بموضوع الجسد ليتصدر عتبات عنوان الكتب النقدية صراحة. وأفردت له البحوث والمقالات، وإن كان الحضور الجسدي فاعلا مع ظهور الأدب؛ ولكن الترميز الجسدي في الأدبيات الحديثة والمعاصرة ظاهرة دلالية أشبه ما تكون متأطرة في إطار الثنائيات الضدية كـــــ (الرجل والمرأة، الغرب والشرق) أي المركز والهامش. فعملية البوح والإعلان اللذين يمارسهما الترميز أو الاستدعاء الجسدي أعطى الفسحة الكافية للتقويض وإعادة التشكيل، إضافة إلى الاشتغال على عملية تأسيس لطروحات مجتمعية منافية لما كانت.

ولما كان عنوان مشروعنا النقدي هو الاقتصار على الهوية المذكورة صراحة في عتبات العنوانات النقدية التي ندرسها لم نتطرق إلى القراءات النقدية التي تعنى بالجسد في عتباتها التعريفية والمهتمة بالجانب الروائي بيد أن الكتب النقدية قيد الدراسة تطرقت لهوية الجسد ولكن بتفاوت في الرؤية والمعالجة. إذ إن أغلب النصوص الروائية التي درستها تلك المشاريع النقدية التي تدرس قضية الجسد أو استندت عليه أو تطرقت إليه ضمن محاورها الرئيسة في عملية الارسال، ومن ثم فرض الجسد حضوره على القراءة النقدية حتى يمكن أن نعد أعادة عرضه تعبيرا عن مقدرة الناقد الأدبي في تفكيك الشفرات الدلالية إضافة إلى جرأته في تناول التابو وتأويله هذا من جانب مطلوب، ولكن في جانب نقيض نكشف عن عدم التطرق إلى الجسد والاغفال عنه في القراءة النقدية لاسيما إذا ما كان الموضوع شمولي يمثل الجسد ركيزة محورية فيه أو إن رؤية المنتج الروائي العميقة مبنية على الجسد وتداعياته. وعليه سنواجه رؤيتين: إحداهما: تغييب الجسد من القراءة النقدية. والأخرى: حضور الجسد في القراءة النقدية.

ففي الكتاب (هوية المكان في روايات رجاء العالم) نجد طغيان التأويل الديني للمتن الروائي على حساب المكونات الثقافية الأخرى التي حاولت الكاتبة الروائية(رجاء العالم) التركيز عليها صراحةً.

اعتنت (د. إيمان جريدان) بهوية المكان الديني من غير الوقوف عند هوية الجسد التي قيدتها هوية المكان، فالعلاقة بين الجسد والمكان الديني فاعلة في المتن الروائي. إن الناقدة الأدبية ركزت على الطوارئ المكانية أو المكان الديني حول الكعبة وقد شغلتها القراءة المكانية عن ظاهرة التمرد الجسدي لاسيما الأنثوي في ذلك المكان المقدس[١١،ص١٤٣] أي مرحلة التمرد الأنثوي وتهميش الثبات الهوياتي تجاه الجسد المتزامن مع مرحلة التحطيم المكاني والتدليل على وعي الشخصيات الروائية وتمردها على الثقافة المكية المنغلقة.

يهتم (د. عبد الله إبراهيم) بالجسد الأنثوي في قراءاته السردية لا سيما في كتابه (السرد النسوي الثقافة الأبوية، الهوية الأنثوية، والجسد)، الذي يعد من الكتب النقدية المهمة في تقديم قراءات نقدية في الرواية تعنى بالجانب النسوي. ففي الفصل الأخير من كتابه المعون بـــــ (السرد النسوي ومركزية الجسد) يركز فيه على اختياره وتفكيكه للنصوص الروائية على أن يكون الجسد الأنثوي فاعلا ومفعولا وفعلا كل في إطاره الثقافي وبؤرته المكانية معززا آرائه برؤى فلسفية تجاه هوية السرد النسوي.[١٢،ص٢١٥-٢٥٤]

أما (د.قيس كاظم الجنابي) في الباب الخامس (هشاشة الجسد.. وتصدع الهويات) من كتابه (الرواية العراقية بعد الاحتلال الأمريكي (هشاشة المأوى وأزمة الهوية) قد اعتمد في قراءته للروايات العراقية على سبع روايات لمنتجين رجال ورواية واحدة لمنتجة امرأة في الكشف عن قضية الجسد، ولكن لم تكن قراءته مكثفة بقدر

ما كانت خاطفة، فالإضاءات النقدية حول الجسد جاءت سريعة لم تكشف عن تصدع الهويات بشمولية إذ توزعت الجهود النقدية على عدد من الروايات المدروسة إضافة إلى تخصيص جزء كبير في قراءة عتبة العنوان للنصوص الروائية والبحث عن الأسلوب السردي.[١٣،ص٣٠١-٣٦٩]

ولم تغفل الناقدة الأدبية (سعيدة بن بوزة) في كتابها (الهوية والاختلاف في الرواية النسوية في المغرب العربي) حضور الجسد في النصوص الروائية التي اختارتها، فأجابت عن أسئلة التوظيف الرمزي والدلالي لجسد حواء والكشف عن الرؤى كاتبات الرواية في سرد العلاقة بين الجنسين وبيان موضعة المرأة وتذويت الذكر أو ترميز جسدها وطنا. فأعطت الناقدة مساحة قرائية لحضور المرأة وفاعلية جسدها مستعينة في قراءتها على الرؤى الدينية والفلسفية والنفسية.[٨،ص١٤١-١٩٨]

٢-٣ اللغة:

تعد اللغة المكون الرئيس في ثقافة المجتمعات ومرآة ذاته، فالتباين التكويني والمكاني للأفراد لها هوياتها الثقافية الخاصة بها بدء من اللغة ما تشتمل عليه من لهجات أو صياغات كلامية ودلالية للبنيات اللغوية والمصطلحية. وتعد اللغة ((الحامل الأكبر للمنتج الثقافي، وهي التي تصنع الهوية وتؤثثها، إذ لا هوية بغير ثقافة ولا ثقافة بغير لغة))[١٤،ص٢٦٧] وهي((نسق من العلامات signs نعده ذا قيمة ثقافية لأن المتحدثين يعبرون عن هويتهم وهوية الآخرين عبر استخدامهم لها. فهم يرون أن استخدامهم للغتهم رمز لهويتهم الاجتماعية، ومنع استخدامها رفض لهويتهم الاجتماعية والثقافية))[١٥،ص١٦].

وإن تمسك المجتمعات بلغاتها في ظل العولمة ولد صراعا له أكثر من اتجاه معاكس أو نقيض للآخر، الأول التمسك بالهوية اللغوية والثاني الخضوع للطرح العالمي والتماهي مع معطيات الواقع وضروريات اللحظات الآنية. والثالث الجمع بينهما.

وقف نقاد الأدب عند الطروحات الروائية المشتملة على تأكيد اللغة الهوياتية في سياقها النصي ورصدها في الاطار الثقافي.

ففي كتاب (الهوية والاختلاف في الرواية النسوية في المغرب العربي) للمؤلفة (سعيدة بن بوزة) عالجت رؤى الشخصيات المختلفة ومدى ارتباطها بهويتها اللغوية في رفضها وقبولها والتعامل معها ومع لغة الآخر، فجاءت قراءة الناقدة للرؤى المتباينة في نصوص الروائية شاملة وكأنها عرضت بحيادية رؤى الروائيات عبر شخوصها في السردية وذلك في اختيارها لمقاطع روائية تحمل كل واحدة منها رؤية في التعامل مع الهوية اللغوية الذاتية.[٨،ص٢١٢-٢١٨]

لم تلتزم المؤلفة (حنان محمود جميل) في كتابها (الهوية في الرواية العراقية بعد سقوط بغداد 2003 بالمنهجية المنطقية والمتسلسلة في الوقوف عند دالة اللغة في قرأتها الروائية ففي الجزء الأول من الكتاب أي الجانب التنظيري تبين تعريف اللغة وعلاقتها بالهوية[١٦،ص٤٧-٥٠] وفي معرض حديثها عن محددات الهوية العراقية تقف في إشارة سريعة عند مقطع من الرواية (المحبوبات) لـــ(عالية ممدوح) حتى تخلص الحديث عن سرد تاريخي بعيد عن الممارسة النقدية وهذا ما نسميه بالفضلة القرائية.[١٩،ص٧٢-٧٣] أما في قراتها لرواية (ليل علي بابا الحزين) فتربط بين هوية الكاتب المكانية في توظيفه للمفردات اللغوية الجنوبية وتستدعي مقطعين

لنصين روائيين (سيدات زحل) لـــ(لطفية الدليمي) و(يا مريم) لـــ(سنان أنطون) رغم أنها تحدد الفصل الأخير لقراءة رواية (عبد الخالق الركابي).[١٩،ص١٨٦-١٩١]

واهتمت (د. فوزية لعيوس) في المبحث الأخير الموسوم بـــ (الهوية في رواية طشاري بين هامشية الوطن ومركزية المنفى) من كتابها (تمثلات الهوية في السرد الروائي) بالجانب المركزي الذي اهتمت به الروائية (إنعام كجه جي) في تعزيز اللغة العربية عند شخصيتين مسيحيتين على الرغم من حضور لهجات محلية للشخصيات المسلمة إضافة إلى اللهجات العربية في النص الروائي.[١٧،ص١٩٦-١٩٧]

وفي كتاب (الهوية والإرهاب قراءة في ممكنات السرد الروائي العراقي) للـــ(د.كريمة نوماس) لم تضع المؤلفة المرجعية الأدبية ضمن اللغة بل قدمتها عليها في التقسيم الثالث للمرجعيات الثقافية_ حسب اشتغالها _ فإن معالجتها القرائية جاءت بعيدة عن الأسس النقدية.

وفي المرجعية الثانية (اللهجة العراقية والكلمات الأجنبية) لم تفرق فيها بين رؤية الشخصيات لاسيما زينة _ وهي بطلة الرواية الحفيدة الأمريكية لإنعام كجه جي- وبين الأسلوب السردي للروائية فالتداخل وعدم الشمولية في القراءة ولّدا إرباكا في العملية التواصلية وازداد في نسق المشابهة (التشبيه، والاستعارة، ونسق المجاورة/ الكناية) لم تكن المحاولة القرائية صائبة بقدر ما كانت مغلوطة وغير ناضجة.[١٨،ص٨٥-٩٨]

ويعتمد المؤلف (د. محمد عبد الحسين هويدي) في كتابه (إنعام كجه جي بين أزمة الهوية وخطاب السخرية) على البعد الاجتماعي للثقافة في قراءته للرواية (الحفيدة الأمريكية) أي الجانب التراثي والتداولي للغة المعروض في خطاب الرواية. فيشير إلى أنه ((من بين عناصر التراث القولية الموظفة في الرواية هو اللهجة العامية وما تحمله من خزين ثقافي مهم))[١٩،ص٣٦-٣٨].

إن قراءة الناقد جاءت سريعة وغير مكتملة ويمكن ايجاز ذلك في سببين:

١- ركز الناقد على الهوية الموصلية على لسان الجدة والحفيدة في بعض جملها، ولم يركز على تداعيات الحفيدة اللغوية وهي تتذكر واصفةً اللهجة الموصلية، إضافة إلى اغفال الناقد لورود اللهجة الجنوبية المتمثلة بقصيدة مظفر النواب الجنوبية في السياق الروائي، حين أدرج الجانب التراثي المتمثل بالقصائد الشعبية والأناشيد ضمن البنية اللغوية كفاعلية ثقافية في تشكيل الهوية.

٢- قراءة جزء معين من نتاجٍ روائي واحد.. فلو جاءت قراءة فاعلية البنية الثقافية في بناء الهوية لكل روايات الكاتبة لتبين مدى فاعلية الثقافة في تشكيل الهويات..وبيان أسباب التوافق والاختلاف اللغوي في إطار مكاني واحد أو أكثر.

٢-٤ الموسيقى :

الموسيقى مكون رئيس من مكونات الثقافية في المجتمعات وهي دالة هوياتية للمجتمعات.. لم يكن للموسيقى وما يتعلق بها من أغانٍ شعبية أو آلات موسيقية حضورا هوياتيا في القراءة النقدية على الرغم من فاعلية توظيفها من قبل الكتاب الروائيين.

ففي كتاب (جماليات الهوية في الرواية العربية المعاصرة 1985- 2015) وقفت المؤلفة (د. علياء الداية) عند الجانب الموسيقي في العالم المتخيل في الجزء الأخير من كتابها.

ولم تكن قراءتها متناسبة مع العنوان الرئيس للكتاب أي عدم ربط الموسيقى بالهوية إلا في جوانب سريعة الذكر. حاولت الناقدة الوقوف عند أكثر من جانب في تأويل الموسيقى مما جعل القراءة سريعة موزعة وغير شاملة في بيان التوافق الهوية الموسيقية في سياق النص الروائي. إذ حاولت ربط عنوانات الروايات الثلاث بالموسيقى ولم تكمل طرحها القرائي في العلاقة بين المعطى الموسيقي والمتلقي ضمن دائرة الخطاب الروائي بشمولية، أما ربط الموسيقى بالمكان المفتوح والمغلق داخل بيئة حلب جاء أكثر توافقا مع المنظورين السابقين[٢٠،ص١١٧-١٣٠].

وقرأ (د.محمد صابر عبيد) في كتابه (النص والهوية الحضور السرياني في الأدب العراقي الحديث) رواية (في انتظار فرج الله القهار) للمؤلف (سعدي المالح) من منظور نصي يعنى بالصنعة الروائية في سردنتها للموسيقى وقدرة الروائي على تجسيدها نصا، عبر ربط البنى اللغوية الدالة على الموسيقى بالبنية التأسيسية والأسطورية للموسيقى التي حضرت ((في الرواية حضورا لافتا وغير عادي على أكثر من مستوى، وغذت الفضاء الروائي بمعنى الموسيقى وحساسيتها وإيقاعها وثقافتها ورؤيتها على نحو غزير وحيوي ونشيط وفعال، ولم يكن حضورها مقتصرا على الجانب الثقافي المعرفي الذي يكشف عن معرفة الراوي بالمدارس الموسقية ومرجعياها، بل استطاع أن يوظف هذا الحضور لخدمة الفضاء الروائي وشحنه بمنطق الموسيقى ورؤيتها وحساسيتها)) [٢١،ص٩٨ و٩٩].

٢-٥ المكونات الأخرى:

وردت جملة من المكونات الثقافية في عدد من سياق القراءات النقدية دالة على البنى الثقافية التي تشكل فاعلية الهوية من غير أن يخصص لها النقاد مجالا قرائيا متكاملا. وما نقصده من البنى الثقافية الأخرى هي الوقوف عند أسماء الشخصيات الروائية والأكلات الشعبية والملابس والأزياء الوطنية وهي دوال ثقافية تحيل على هوية فئة مجتمعية في مكان خاص بها.

لم تكن النتاجات الروائية في معزل عن عرض هذه المكونات بل بنيت الكثير من الروايات التدليل عليها أو عبرها عن موضوعات سياسية أو اجتماعية أو دينية.

أما في ما يخص الجانب النقدية فلم تكن القراءة في أغلب النصوص النقدية –قيد الدراسة والبحث والمرتبطة حصرا بالهوية – معنية في قراءتها والكشف عن عمق الخطاب الإبداعي عبرها.

ففي كتاب (الهوية في الرواية العراقية بعد سقوط بغداد 2003) تعنى الناقدة (حنان محمود جميل) بأسماء الشخصيات في الروايتين (ليل علي بابا الحزين) و(سيدات زحل) – على الرغم من عنونة المبحث بالاهتمام بالجانب التطبيقي لرواية الركابي حصرا–.

جاءت قراءة بعض من أسماء الشخصيات الروائية رمزيا أي من منظور التشكيل الرمزي للكشف عن الدلالة العميقة لمسميات الشخصيات من الكتّاب وربط التأويل وتعزيز رؤية الرواة في خطابهم. الرؤية النقدية في (التمثيلات الرمزية) صائبة في تحديد الاجراء النقدي أي الوقوف عند أسماء الشخصيات الروائية وتفكيك دلالتها وربطها بمعطيات الخطاب الروائي والكشف عن فاعلية تلك الدلالات في إثراء العملية السردية إلا أنها لم تكن دقيقة ولا شاملة في اشتغالها الاجرائي وذلك لأسباب قرائية ومنهجية:[١٦، ص١٩٨-٢٠٤]

١- الوقوف عند جزءٍ قليلٍ من أسماء الشخصيات الروائية في كلتا الروايتين.

٢- الحرص على تأويل التسميات لتكون رمزا للوطن وإن لم تكن كذلك.

٣- قراءة جزءٍ من اسم أدرج كاملا، كـــ(بدر فرهود الطارش) في رواية (ليل علي بابا الحزين) واغفال المدلول المشترك في الدوال الثلاث..

٤- إغفال المرجع المكاني في دلالة الأسماء ومن ثم تغييب دور وعي الكاتب/ـــــة في اختيار التسميات لشخوصهم الروائية.

٥- التخلص والعودة في قراءة أسماء شخصيات في (ليل علي بابا الحزين) حيث تتوسطها قراءة سريعة لجزء من شخصيات في (سيدات زحل)، ثم العودة مرة أخرى للكشف عن ((حمولات دلالية أخرى في رواية الركابي))[١٦، ص٢٠٣] وهي دلالة الوصف في مقطعين من الرواية.

ومن المكونات الثقافية التي وردت في السياق النقدي هي الوقوف عند ملبس الشخصيات في النتاج الإبداعي. ففي المبحث الأخير من كتاب (تمثلات الهوية في السرد الروائي) تدرج الناقدة (د.فوزية لعيوس) ملبس (وردية) بطلة رواية (طشاي) في سياق (العادات والتقاليد والتراث الشعبي) في ضوء قراءتها لسياق المجتمع من منظور الكاتب الروائي إلا أنها لم تعط لهذه البنية الثقافية قراءة شاملة بل جاءت سريعة ومقتضبة وذلك عند قراءة ملبس وردية الشخصية المسيحية واغفال الجانب الآخر الريفي المسلم وصفته الروائية والمتمثلة بشخصية (شذرة).[١٧،ص١٩٤]

وبناء على ما سبق قراءته يمكن القول: إن الكتب النقدية التي درست الهوية من منظور البنية السردية والثقافية لم تكن متكاملة في اختيارها وقراءتها في احتواء أكبر قدر ممكن من البنى وتفكيكها حسب ما تقتضيه القراءة النقدية للخطاب السردي والبحث عن العلائق الدلالية العميقة التي تعزز العملية السردية وتسمو بالنص النقدي في مرتبة معرفية أعلى.

ويكمن أيضا الإخفاق النقدي أو القراءة السردية في التعميم السريع أو الاختزال النقدي إلى حد الاختلال القرائي وهذا ما قامت عليه أغلب القراءات النقدية.

إن المنهجية التي افتقرت إليها أغلب الدراسات النقدية – قيد الدراسة– تعود إلى عدم اكتمال الرؤية النقدية الخطابية؛ ففي الوقت الذي وثقت فيه النصوص الروائية التي هي قائمة بوعي من الكتّاب على النقد الإبداعي، نجد العملية النقدية قد وقفت موقف إعادة سردنة الخطاب الروائي أو اقتصار اشتغالها القرائي على عملية تقسيم الموضوعات على وفق ثيمات الروايات التي درستها أو عنواناتها.

٣- النتائج:

١- بناء على ما سبق قراءته يمكن القول: إن الكتب النقدية التي درست الهوية من منظور البنية الثقافية لم تكن متكاملة في اختيارها وقراءتها في احتواء أكبر قدر ممكن من البنى وتفكيكها حسب ما تقتضيه القراءة النقدية للخطاب السردي والبحث عن العلائق الدلالية العميقة التي تعزز العملية السردية وتسمو بالنص النقدي في مرتبة معرفية أعلى.

٢- يكمن الاخفاق النقدي أو القراءة السردية في التعميم السريع أو الاختزال النقدي إلى حد الاختلال القرائي وهذا ما قامت عليه جزء من القراءات النقدية.

٣- إن المنهجية التي افتقرت إليها أغلب الدراسات النقدية – قيد الدراسة- تعود إلى عدم اكتمال الرؤية النقدية للخطاب الروائي ؛ فوقفت العملية النقدية عند إعادة سردنة الخطاب الروائي أو اقتصار اشتغالها القرائي على عملية تقسيم الموضوعات وفقا لثيمات قيد الدراسة أو قيد العنوانات. ونقصد بقيد العنوانات هو أن يدرج الناقد الأدبي اشتغالاته أو قراءاته لمجموعة من الأعمال الروائية تحت إطار العنوان. أو أنه بمثل مجموعة بحوث نشرت متفرقة من غير مراعاة الانسجام مع العنوان الرئيس الموضوع على الغلاف أو مراعاة التسلسل المنطقي للموضوعات.

٤- الاستنتاج:

نستنتج من قراءتنا لمجموعة من الكتب نقد الهوية في الرواية العربية بأن القراءة النقدية لموضوع الهوية لم تكن ناضجة معرفيا بل كانت محاولات قرائية متباينة في مستوياتها تسعى للوقوف عند البعد الهوياتي في النتاج الروائي من غير الوقوف عند تباين فاعلية الهوية الثابتة أو المتغيرة مع معطيات التكوينية له.

CONFLICT OF INTERESTS
There are no conflicts of interest

٥- المصادر:

[١] مالك بن نبي. ترجمة: عبد الصبور شاهين. مشكلة الثقافة. دار الفكر. دمشق. ط٤. ٢٠٠٠م.

[٢] تيري إيجلتون. ترجمة: شوقي جلال. فكرة الثقافة. المشروع القومي للترجمة. إشراف: جابر عصفور. القاهرة. ط١. ٢٠٠٥م.

[٣] د.صلاح السروي. المثاقفة وسؤال الهوية مساهمة في نظرية الأدب المقارن. دار الكتبي للنشر والتوزيع. القاهرة. ط١. ٢٠١٢م.

[٤] عماد جاسم. الهوية المسيحية في الرواية العراقية دراسة تحليلية لروايات ما بعد عام 2003. الشؤون الثقافية العامة. بغداد. ط٢. ٢٠١٩م.

[٥] د. عبد الله إبراهيم. السرد والاعتراف. والهوية. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. ط١. ٢٠١١م.

[٦] صالح زامل. الشغف بالهوية دراسات ومقالات في السرد. دار ومكتبة عدنان. دار الشؤون الثقافية بغداد. ط١. ٢٠٢٠م.

[٧] إحسان شبيب البخاتي. الهوية في سرديات جمعة اللامي دراسة في ضوء التحليل الثقافي. دار غيداء للدراسات والنشر. ط١. ٢٠١٨م.

[٨] سعيدة بن بوزة. الهوية والاختلاف في الرواية النسوية في المغرب العربي. دار نينوى للدراسات والنشر. دمشق. ط١. ٢٠١٨.

[٩] د.محمد جري النداوي. إشكالية الهوية في الرواية العربية (2001–2013).. دار شهريار. البصرة – العراق. ط١. ٢٠٢١م.

[١٠] سعد محمد رحيم. موقع الهوية السلطة. الجسد. المكان. العنف. دار ميزوبوتاميا للنشر والتوزيع. ط١. ٢٠١٨م.

[١١] د.إيمان جريدان. هوية المكان وتحولاته قراءة في رواية طوق الحمام. دار الكافي للنشر والتوزيع والترجمة. ط٢. ٢٠٢١.

[١٢] د.عبد الله إبراهيم. السرد النسوي الثقافة الأبوية. الهوية الأنثوية. والجسد. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. ط١. ٢٠١١م.

[١٣] د.قيس الجنابي. الرواية العراقية بعد الاحتلال الأمريكي (هشاشة المأوى وأزمة الهوية). دار دجلة للنشر والتوزيع. عمان _الأردن. ط١. ٢٠٢١م.

[١٤] عبد السلام المسدي. الهوية العربية والأمن اللغوي دراسة وتوثيق. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.بيروت.ط١. ٢٠١٤م.

[١٥] كلير كرامش. ترجمة: د. أحمد الشيمي. مراجعة : عبد الودود العمراني. اللغة والثقافة. وزارة الثقافة والفنون والتراث. قطر. ط١. ٢٠١٠م.

[١٦] حنان جميل. الهوية في الرواية العراقية بعد سقوط بغداد 2003. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت.ط١. ٢٠١٨م.

[١٧] د.محمد الجبوري ود.فوزية لعيوس. تمثلات الهوية في سرد الروائي. دار الصادق للنشر. دار الرضوان. عمان. ط١. ٢٠٢٠م.

[١٨] أ. د. كريمة نوماس محمد المدني. الهوية والارهاب قراءة في ممكنات السرد الروائي العراقي. دار الفرات للثقافة والإعلام. بابل. د. ط.٢٠١٨م.

[١٩] د. محمد عبد الحسين الهويدي. أنعام كجه جي بين ازمة الهوية وخطاب السخرية. دار مسامير للطباعة والنشر والتوزيع. السماوة – العراق. د.ط. ٢٠٢٠.

[٢٠] د.علياء الداية. جماليات الهوية في الرواية العربية المعاصرة 1985–2015. دار نينوى للدراسات والنشر. دمشق. ط١. ٢٠٢١م.

[٢١] د.محمد صابر عبيد. النص والهوية الحضور السرياني في الأدب العراقي الحديث. دار غيداء للنشر والتوزيع. عمان–الأردن. ط١. ٢٠١٤م.